هوامش

تمتهنُ فتيات كثيرات من النساء الوجديات، شرقيّ المغرب، مهنة نقش الحناء، إذ يمارسْن حرفتهنّ في المزارات والأماكن التي يزورها السيّاح من داخل المملكة وخارجها

الحنّاء المغربية عجينة خضراء تتحول إلى اللون الأحمر بعد وضعها (آرتر ويداك/ Getty)

الحناء المغربية

مصدر دخل للنساء في وجدة

وجدة ـ **فرح بختي**

لا تخلو أيادي وأقدام النسبة الكبرى من نساء منطقة وجدة، شرقيّ المغرب، من نقوش الحنّاء، بأشكالها المختلفة، على مدار العام. إذ تحولت من طقس يصاحب المناسبات السعيدة كالأعراس، وحفلات اليوم السابع للمولود، وغيرها من المناسبات، إلى جزء أساسي من اهتمام النساء من مختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية.

وامتهنت فتيات كثيرات من الوجديات مهنة النقش. وأصبحت أسماء بعضهن مشهورة إلى درجة كبيرة، داخل المنطقة وخارجها، وبالذات اللاتي يمارسن حرفتهن في عدد من المزارات والأماكن السياحية بالمنطقة التي يزورها السياح من داخل المملكة المغربية وخارجها. زارت «العربي الجديد» بعض النقّاشات اللاتي أصبحن يزاولن هذه الحرفة كمهنة للعيش، إذ يخترن الأماكن السياحية للعمل فيها لأجل كسب المال، بسبب كثافة وكثرة عدد الزوار لتلك المنطقة والراغبين في نقش الحنّاء. وتحكي أمينة، وهي واحدة من أشهر النقّاشات في المنطقة، حكايتها مع الحنّاء، فتقول لـ«العربي الجديد»: «تعلمت هذه الحرفة من طريق الموهبة. فمنذ طفولتي وأنا أحب رسم هذه النقوش بمختلف أشكالها، وتعتبر موهبة بالنسبة إليّ، وبعدها اشتغلت عليها أكثر لتصبح مهنة لي أعيش من خلالها».

وبالنسبة إلى الإقبال على نقش الحناء، فهو قائم طوال السنة، لكن يكون أكثر في فصل الصيف، بحكم كثرة الأعراس وإقبال السياح والأجانب. ويكون الإقبال من طرف البنات الشابات والفتيات الصغيرات وتليهن النساء. وبالنسبة إلى السياح، يكون الإقبال أكثر منهم، لأنّهم من الفئة التي تحب هذا النوع من النقوش في مختلف أجزاء الجسم. هناك من يطلب نقوشاً في الظهر أو الذراع أو الركبة أو اليدين أو الرجلين أو الرقبة، كل واحدة حسب رغبتها، وكل واحدة تختار شكل النقش الذي تريده. وعن طموحاتها في هذه المهنة، تناشد أمينة الحكومة «أن تلتفت أكثر إلى هذه الشريحة من النقّاشات العاملات، بحكم أن شغلنا صعب. نظلُّ طوال اليوم جالسات في الشارع ننادي الزبائن لأجل أن ينقشوا الحنّاء، فلذلك لا توجد عندنا أي حقوق من دعم أو تقاعد أو أوراق رسمية تحمينا... هذا ما أتمناه». وتكمل أمينة: «كما دائماً أتمنى النجاح والتطوير في هذه الصنعة. وأتمنى أن أشتغل مع زبائن كبار كالفنانين وطبقات مهمة في المجتمع».

وتضيف أمينة أن نقش الحناء لا علاقة له أبداً بلون البشرة، فذلك راجع إلى الزبونة واختياراتها ورغبتها. وهناك أنواع مختلفة للنقش، منها النقش الفاسي والمراكشي والخليجي. وأخيراً أصبح النقش الهندي الأكثر طلباً من طرف الشابات، أو رسمة «تسغناس»، وهي علامة الأمازيغ الأكثر طلباً حالياً. وهناك العديد من الأنواع، كالحنّاء المغربية، إذ نجد منها المراكشي والفاسي، وهما لا يختلفان كثيراً، ويتميزان بالخطوط الدقيقة، وهناك الحنّاء الصحراويَّة والخليجيَّة بالسطور الغليظة وباللون الأسود الغامق. وتكمل أمينة: «بالنسبة إلى الدخل، هناك دخل جيد جداً بالنسبة إليّ، وذلك راجع لأنني قديمة في المهنة، فأصبح لي زبائن كلما زاروا المنطقة يأتون عندي مباشرة، وهذا ما ساعدني على كسب دخل جيد». أما بالنسبة إلى الأدوات المستعملة، فهناك الحنّاء طبعاً، وهي الحنّاء التقليدية المعروفة عندنا هنا في المغرب، وتكون على شكل عجينة خضراء وتتحول إلى اللون الأحمر بعد وضعها. وهناك الحنّاء التي تغزو الآن الأسواق، أو ما تُسمى الحنّة الهندية، وتكون مثل الكريمة الحمراء الداكنة والسوداء حسب رغبة الزبون. والأدوات المستخدمة هي إبرة فقط لأجل رسم هذه النقوش بدقة وفنّ أكثر، والآن أصبح الطلب أكثر على الحنّة الهندية بحكم أنها سريعة الجفاف، وتعطي لوناً في أسرع وقت، ولونها أجمل.

وعن الفرق بين الحنّاء و«التاتو»، تقول النقاشة أمينة إن الحنّاء مجرد نقوش عادية تستخدم خارج الجلد ولا تسبب له أي ضرر، «وهي مرتبطة بتراثنا وعاداتنا المميزة. أما (التاتو)، فهي نقوش تنقش مباشرة على الجلد بإبرة، فهناك فرق شاسع، ويمكن أن تسبب بعض الضرر للجلد، إذا لم يكن هناك اهتمام بطريقة العمل». وتحكي السيدة فاطمة لـ«العربي الجديد»، أن نقش الحنّاء كان تقليداً يجري في طقوس مبهرة ومتنوعة حسب المناطق، وتكون مصحوبة بالفرحة والسعادة، ويُعتقَد في بعض المناطق القروية أنه يجلب الحظ السعيد ويبارك الأرض ويساعد البنات في الحصول على زوج.

باختصار

الإقبال على نقش الحنّاء قائم طوال السنة، لكن يكون أكثر في فصل الصيف بحكم كثرة الأعراس وإقبال السياح والأجانب

■■■

يُعتقَد في بعض المناطق القروية أن الحنّاء تجلب الحظ السعيد وتبارك الأرض وتساعد البنات في الحصول على زوج

■■■

نقش الحنّاء لا علاقة له أبداً بلون البشرة، وذلك راجع إلى الزبونة واختياراتها ورغبتها، وهناك أنواع مختلفة للنقش

وأخيراً

تحية إلى إدريس الخوري

محمود الرحبي

اختار إدريس الخوري، الذي رحل قبل أيام، اسمه الأدبي هذا وعنوان كتابه الأول بحرص شديد. جمع في اسمه ولقبه بين مشرق الوطن العربي ومغربه. فإذا كان «إدريس» اسما مغربيا عريقا، فإن الخوري اسم لبناني (أو شامي عموما)، وكم كانت بيروت ومجلاتها الأدبية الرائدة ودور نشرها تدغدغ أحلام الشباب المبدعين في ذلك الوقت. كان إدريس الخوري من جيل الستينيات الذين أوصلوا الأدب المغربي إلى المشرق العربي. ويعدّ من أوائل الذين نشروا في مجلة الآداب البيروتية، مثل محمد شكري ومحمد زفزاف، وهم «الثلاثي» الذي تُذكر أسماؤهم في العادة معا. وهذا ما جعل الباحث يوسف توفيق يكتب في صفحته الزّرقاء بعدما نُعي الخوري: «وداعا إدريس الخوري ثالث ثلاثة»..

وكما اختار اسما ولقبا أدبيا دالا، اختار كذلك بحرص عنوان مجموعته القصصية الأولى «حزن في الرأس والقلب» (1973)، وهو عنوان يتناوب فيه الشّعور الوجداني والذاكرة، فإذا كان حزن القلب فيزيولوجياً ووقعه شديدا، فإنه لا يلبث أن يتلاشى رويدا رويدا، لتشقّ الحياة طريقها، فيما يظلّ حزن الذاكرة مقيما ما دام في هذه الذاكرة نبض. ويقترن ذكر إدريس الخوري بالحياة ونبضها، ليس في القصّة فقط، بل أيضا في المقالات التي كان يكتبها يوميا، فقد ظلّ عموده اليومي في صحيفة الاتحاد الاشتراكي من أشهر الأعمدة في الصحافة المغربية، بل كان بمقدور إطلالته اليومية هذه أن تُعلي قدْرَ فلان وتحُطّ من قدْر علان، لشعبيتها واتساع دائرة قرّائها. إذ إن الخوري، بالإضافة إلى ريادته في القصة القصيرة، في العالم العربي وليس في بلده المغرب فقط، كان أيضا صحافيا بأسلوب رشيق وممتع، يمكن قراءة مقتطفات منه في كتاب «فم مزدوج»، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009). وكان في مقالاته منفتحا على الجميع ولم يكن محليا مغلقا، لذلك كسب محبّة مختلف الكتاب في الوطن العربي. أتذكّر مثلا أنه كان يكتب عن كل عدد يصدُر من مجلة كلمات البحرينية، وخصوصا عن أعدادها الأولى، كما أنه كتب عن مبدعين عُمانيين شباب.

يختلط أحيانا اسم إدريس الخوري بالقاص المصري يوسف إدريس، ولكن لمَ الارتباك؟ لأنه إذا كان إدريس أحد الأقلام المُجدّدة في القصة العربية، فإن الخوري له أهميته في هذا الجانب، مع فرق تقنيّ، أن إدريس كان يهتمّ بالصياغة التشيكوفية، التي تُعني بـ«القفلة» المُفاجئة. ما عدا ذلك فإن الكاتبَين كانا يستلهمان متخيّلَهما القصصي من الطرقات ومن القاع والهامش والاهتمام بما «لا يفيد» في ظاهره والخارج عن الحسابات «الكبيرة». ولا غرو، والحال هذه، أن تشبه حياة إدريس الخوري كتاباته، بسيطة ومباشرة، ولكن تلك البساطة العميقة والمباشرة الهادفة. وكان من حسن حظي أني قرأت بعض قصصه قبل زيارتي للمغرب في بداية التسعينيات للدراسة، إضافة إلى قصص محمد زفزاف ومحمد شكري، ويمكن القول إنّهم يشكّلون «ثلاثي القاع»، وكانوا من «أساتذتي» في كتابة القصة ولو من بعيد. لم ألتق زفزاف مع الأسف، أما شكري فكنت أبادله التحية حين أصادفه في مقهى باليما بالرباط أو في وادي المخازن في أصيلة مع الأصدقاء. أما إدريس الخوري فقد تعدّدت لقاءاتي به، والسبب اثنان يحملان، للطرافة، الاسم نفسه، الشاعر إدريس علوش، حين كان يفد من أصيلة إلى الرباط ويمكث فيها أياما قليلة. كما التقيته برفقة أستاذي الجامعي المرحوم إدريس بلمليح الذي ظلّ يكن تقديرا كبيرا وخاصا لقصص الخوري، وقد أخبرني قبل رحيله أنه أسّس دار نشر، وكانت أولى بشائرها جمع الأعمال القصصية الكاملة لإدريس الخوري، وطبعها على نفقة وزارة الثقافة المغربية. بسبب هذه البساطة، صار لإدريس الخوري أصدقاء يصعُب حصر عددهم عبر ربوع العالم العربي والمنافي الأوروبية والأميركية. ومكانته بين الكتاب والأدباء المغاربة محفوظة، أتذكّر مرة كنت في معرض كتاب الدار البيضاء، حين أعطاني الصديق حسن أغلان، وهو مسؤول إداري في المكتبة الوطنية بالرباط، كتابا بعنوان «بـإدريس» طبعته المكتبة الوطنية نفسها، وساهم في الكتابة فيه كتّاب مغاربة من مختلف الأجيال، يعبّرون فيه عن حبّهم لهذا المبدع الذي لم يكن عاديا.

> لا غرو أن تشبه حياة إدريس الخوري كتاباته، بسيطة ومباشرة، ولكن تلك البساطة العميقة والمباشرة الهادفة

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**